

## تحقيق

خليفة حرب  
khalilharb66@gmail.com

## 4 مليارات إنسان لجأوا إلى الفضاء السيبراني

## كورونا يشرع الأبواب ويمتحن الأمن الوطني

فتح فيروس كورونا الابواب امام تغلغل تطبيقات وسائل التواصل في الحياة البشرية، حيث باتت هذه التطبيقات الوسيلة الفضلى للتواصل، مع استمرار تفشي الوباء وفرض الحجر المنزلي على مئات الملايين من الناس حول العالم. هذا الامر المستجد فرض تحديات على الامن الوطني في البلاد لم تعهد من قبل

بات الفضاء السيبراني ملجأ أكثر من نصف سكان الكرة الارضية، بعدما برهن فيروس كورونا عن خطره البالغ وقدرته على التحول الى وباء اصاب ملايين الناس حول العالم. ولان التواصل كحاجة انسانية واجتماعية ومهنية، كان مسألة بديهية في فضائنا الجغرافي العادي، فان الوباء اجبر كثيرين على التعويض بالهروب اذا صح التعبير، الى الفضاء الافتراضي بشكل لم تعهده البشرية من قبل.

لكن ماذا يجري فعليا؟

يقول المستثمر الدولي جورج سوروس، احد ابرز مروجي الليبرالية في العالم خلال العقدين الماضيين: "تكسب الشركات ارباحها عبر استغلال بيئتها، فبينما تستغل شركات التعدين والنفط البيئة المادية، تستغل شركات وسائل التواصل الاجتماعي البيئة الاجتماعية. وهو امر شائن ومخز، لان هذه الشركات تؤثر على السبل التي يفكر فيها الناس ويتصرفون من دون ان ينتبهوا حتى الى هذا التأثير. ويتعارض هذا مع عمل الديمقراطية وسلامة الانتخابات".

ليس سهلا ان ينطق سوروس بمثل هذا

الكلام. الى هذه الدرجة صارت خطورة العالم السيبراني. اذا، لم تعد المسألة ترفيها وتواصل اجتماعيا، صارت تجارة رابحة ولها ابعادها على السياسة والامن الوطني لكل دولة، وهنا صرنا في مكان آخر.

لكن اولا ما هي ابرز التطبيقات الالكترونية التي نشطت وازدهرت في الاشهر الماضية بالتزامن مع تفشي الوباء؟

في الاتي محاولة لاستعراضها باقتضاب للدلالة على ما توفره من خدمات وتسهيلات وامكانيات.

بداية، يكاد لا يخلو بيت في العالم من اجهزة "اللابتوب" الشخصية، فيما انتشرت خدمات الانترنت في اصقاع الدنيا. ومع التطور التكنولوجي، صارت الهواتف المحمولة وكاميراتها الدقيقة والحساسة، كلها وسائل سمحت بتنزيل التطبيقات المتنوعة من اجل استخدامها لاغراض متنوعة.

لعل من بين اشهر التطبيقات التي سعدت اسهمها في الفترة الاخيرة، تطبيق "Zoom" ويستخدمه نحو 200 مليون شخص حول العالم خصوصا لعقد الاجتماعات من بعد. ويوفر بالإضافة الى سهولة استخدامه، جودة

عشرات الحكومات في مختلف القارات. الحياة يجب ان تستمر، يقول كثيرون، لكن ايضا هذا التواصل ولو كان في عوالم افتراضية، فانه حاجة انسانية عمرها من عمر الانسان. لم تعد الخطوط الهاتفية العادية واجهزة التلفزيون والراديو تكفي وحدها لربط الانسان بالعالم المحيط به. نجحت المنصات الالكترونية العالمية الكبرى على مر السنين الماضية في تحويل هذه الظاهرة الى حاجة، ثم الى تجارة، وصار من المهم لغالبية الناس التواصل عبر الصوت والصورة معا. كلما مرت مدة اطول على اجراءات التباعد الاجتماعي والاغلاق، كلما ازداد اقبال الناس على تطبيقات التواصل الذكية التي يمكنها تحدي العوائق الجغرافية والوبائية. وقد



اجتماع من بعد.

## مجتمعات تتلمس طريقها

قال مدير مختبر سوشيال ميديا في جامعة ستراثفورد الاميركية جيف هانوك ان النشاط والتعليقات التي تدور على وسائل التواصل الاجتماعي تعرض كيفية تعامل المجتمعات البشرية عبر العالم مع جائحة كورونا التي لا سابقة لها في العصر الحديث. فحين اجتاحت العالم جائحة الانفلونزا الاسبانية عام 1918 لم يكن ممكنا فهم تعامل المجتمعات البشرية واستجابتها للجائحة بسبب عدم وجود وسائل تواصل اجتماعي.

ويقول في هذا الخصوص ان "التفاعل على هذه المنصات يتيح للمجتمعات ان تتلمس طريقها من خلال التهديد غير المسبوق الذي يتعرض له النوع البشري"، مبينا ان ملايين الناس يتعاملون مع الاطباء والمتخصصين والباحثين والمعالجين مباشرة من خلال هذه المنصات، وهذا يفسر تماما سبب عدم انتشار حالة هلع ورعب من المرض او التهافت على الشراء مثلا عبر العالم.

المجانبة من التطبيق. وهناك ايضا تطبيق "Discord" المجاني الذي يتميز بسهولة استخدامه لتعديل المكالمات عبر الفيديو سواء الفردية او الجماعية، وبخيارات الصوت. "دروب بوكس" ايضا نشط بقوة اذ يتيح لمستخدميه تخزين ومشاركة الملفات والصور ومقاطع الفيديو والاغاني، وذلك تعويضا عن غياب الزيارات الاجتماعية والمهنية وغيرها.

يوفر تطبيق غوغل دو (Google DUO) المجاني خاصية التواصل عبر الفيديو والرسائل النصية والاتصالات الجماعية التي قد تصل الى 12 شخصا. طبعا هناك تطبيقات اخرى مثل سكايب، ومايكروسوفت تيمز الذي حقق اقبالا

في الصورة والصوت، ومشاركة عدد كبير من الناس في الاجتماع الواحد.

هناك ايضا "Face Time" وهو تطبيق مجاني لاتصال الفيديو لمستخدمي اجهزة آبل، وفي امكان مشاركة 32 مستخدما في الاتصال الجماعي الى جانب الرسائل النصية. تطبيق آخر مناسب للاجتماعات عبر الفيديو، يسمى "Go To Meeting" لكنه مدفوع الثمن شهريا، ويمكن لـ25 شخصا المشاركة في الاجتماع.

اما "Google Hangouts Meet" فيوفر للمستخدمين امكان عقد مؤتمرات عبر الفيديو، وهو متميز بانه امن وبجودة عالية، وقادر على جمع 25 شخصا في النسخة

هانلا ويستخدمه نحو 44 مليون مرة يوميا. وهناك ايضا فايسبوك ماسنجر، وماسنجر رومز، وواتساب الاكثر شهرة بينها.

تضاف الى هذه التطبيقات، تطبيقات اخرى لا تقل فاعلية، من بينها "Rescue Time" الذي يساعدك على تنظيم وقتك بعد اضطرارك للعمل من المنزل. يضاف الى ذلك، تطبيقات مثل "Slack" و"تيلغرام"، وتطبيق "SyncBack" الذي يسمح للموظف باستنساخ ملفاته من مقر العمل على جهاز اللابتوب الخاص به للعمل من المنزل، ومشاركة الملفات مع فريق العمل. فشرة بيلوتون الاميركية التي تقدم فكرة اللياقة البدنية الرقمية، وتقدر قيمة اسهمها منذ ما قبل كورونا باكثر من 8 مليارات دولار، ازدهرت بشكل هائل مع التزام الناس منازلهم حاليا ولجوئهم الى الرياضة من خلال دورات تدريب حية توفرها شاشات الدراجات الرياضية.

غني عن القول ان عالم الانترنت صار يقدم مئات التطبيقات الاخرى التي لاقت روجا متنوعا بين المواطنين. لكن ماذا يعني ذلك؟ ما هو تأثيرها الآخر بالإضافة الى تسهيل تواصل الناس وتسيير امور اعمالهم وشؤونهم الخاصة والعامة؟ وتحديدًا، ما تبعات هذه التكنولوجيا السريعة التطور والانتشار في زمن كورونا وما قبله، على الحكومات والدول او على الامن الوطني؟

اذا اتفقنا على ان تعريف مصطلح الامن الوطني هو تأمين الحماية للمواطنين في اراضي الدولة، وضمان سير الحياة اليومية بعيدا من وقوع ازمات او اضطرابات، فان عناصره يمكن ان تكون عسكرية، اقتصادية، سياسية وايدولوجية.

لقد صار واضحا، لا بحسب ما قاله جورج سوروس فحسب، وانما كما دلت العديد من الاحداث حول العالم بما فيها التدخل الالكتروني في الانتخابات الرئاسية الاميركية واحداث الربيع العربي والنشاطات الارهابية، ان وسائل التواصل الاجتماعي ومنصاته الكبرى وتطبيقاته الذكية، يمكن ان تسخر للاخلال بهذا الامن الوطني.

في امكان تطبيقات التواصل الذي، ان



الامن الاجتماعي والوطني وتوجيه الارشادات في ما يتعلق بفيروس كورونا.

صار هذا النشاط مثابة جزء طبيعي من دور هذه الشخصيات والدوائر الحكومية، ادراكا منهم انها الوسيلة الامثلة للتواصل والحضور بين الناس المغلقة عليهم ابوابهم في غالبيتهم. وهو ايضا نشاط لحماية الناس من مخاطر عديدة في عصر كورونا، من بينها نشر الخوف والاشاعات، واستغلال جهل البعض بالترويج لمعلومات مغلوبة، او المتاجرة بهواجسهم وعرض سلع زائفة لاغرائهم، مثلا بانها تقي من المرض او لأي هدف تجاري آخر.

لقد خلق الفضاء السيبراني ايضا سلالات جديدة من الجرائم من بينها الابتزاز الالكتروني والتشهير والقرصنة والاحتيال والتحرش عبر وسائل التواصل. بطبيعة الحال، نشأت في هذه الاجواء، الاف الشركات التي تمتهن الاجرام الالكتروني لاستغلال الخوف من كورونا، وذلك عبر تسجيل نفسها تحت اسماء نطاقات تشمل كلمات مثل كوفيد وكورونا وفيروس، ويعمل العديد منها على اغراق البريد الالكتروني برسائل عشوائية لاستدراج اصحابها الى عملية احتيال مرتبطة بالفيروس. فالتطبيقات اسقطت عنا الكثير من المسائل الشخصية التي كنا نحتفظ بها في بيوتنا بعيدا من اهتمام الناس وعيونهم واهتماماتهم، وصارت احيانا كثيرة تشكل مشاعا عاما.

اذا، الامن الوطني على المحك، وهو يتأق من الامن الاجتماعي من خلال استقرار مكونات المجتمع البشرية السياسية الاقتصادية. صحيح ان وسائل التواصل والتطبيقات ساهمت في تخفيف وطأة ضغوط كورونا وحصاره لنا، لكنها في المقابل ساهمت في نقل المشكلات وتعميمها واستغلالها، بما في ذلك الخوف الجماعي والاشاعات والقلق والترهيب. مس الاستقرار الاجتماعي هو مس الامن الوطني من خلال اثاره الشقاق والفتن والقلق داخل الدولة، واهينا كثيرة ايضا عبر الحدود من خلال جرائم جنائية ومالية وعنصرية وارهابية.

في خلاصة الامر، التطبيقات الذكية سلاح ذو حدين.



زوم.

## الامن الوطني

يقوم الامن الوطني على مجموعة من الاساسيات، هي: التأهب لردع تهديدات قد تواجه الدولة من الداخل او الخارج، والاستعداد لمواجهة عدوان عسكري على الدولة، وضمان تعزيز الجيش والقوى الامنية ليتسنى لها تأمين الحماية اللازمة للمواطنين والمؤسسات.

الاجتماعي، فتجد لها حسابات على تويتر وفايسبوك وانستغرام.

في لبنان على سبيل المثال، تجد حسابات ناشطة تابعة لرئاسة الجمهورية ورئاسة الحكومة ووزارات الصحة والاعلام والاقتصاد والتربية وغيرها، بالاضافة الى المديرية العامة للامن العام وقوى الامن الداخلي. ففي ظل وباء كورونا، تستهدف تلك الحسابات التواصل مع المواطنين ومخاطبتهم، واهينا كثيرة التقاط شكواهم وانتقاداتهم واقتراحاتهم، والمساهمة في التوعية العامة، والحفاظ على



تطبيقات هاتفية.



جرائم انترنت.

يتخيله العقل البشري، تتدفق الى هواتف الصغار والكبار، وتتحكم بامزجتهم وميولهم واهتماماتهم، واهينا تغذي نزعات ليست فيهم، كالتطرف والاجرام والتعصب والجهل. لهذا تجد ان مختلف اجهزة الدول حول العالم تحاول مجاراة هذه التطورات المتسارعة في عالم تكنولوجيا المعلومات، لمراقبتها ومتابعتها ورصدها كلما دعت الضرورة، علما ان عددا كبيرا من الجرائم والاعمال الارهابية احبطت نتيجة هذه المتابعات. في سياق آخر، حضرت الدولة بوزرائها ووزاراتها على وسائل التواصل

من 3 مليارات مستخدم لمواقع التواصل الاجتماعي. فايسبوك يستخدمه 2.3 مليار انسان بينهم مليون لبناني، و30 مليون مصري، و8 ملايين اماراتي و13 مليون عراقي. على تويتر هناك 50 مليون اميريكي، 40 مليون ياباني، 15 مليون بريطاني، 14 مليون سعودي، 10 ملايين هندي و8 ملايين فرنسي. اما على موقع سناب تشات، فتنتشر اكثر من نصف مليون تغريدة في كل دقيقة.

هذا ليس مجرد عالم افتراضي، انه طوفان من الافكار والصور والمعلومات لا يمكن ان



صورة من حملة الامن العام اللبناني ضد الازهاب السيبراني.

تتسبب في اختلال الامن الاجتماعي والحاق الضرر بعالم المال والاقتصاد، وبالسياسيين ايضا. لا يقتصر الامر هنا على التهديد العسكري، واهما يتعداه بكثير الى صلب المجتمع وافراده ومكوناته. ان اخبارا زائفة او تحريضية متعمدة، يمكنها اثاره نزاعات عرقية، مذهبية، طائفية، اجتماعية وسياسية. في عالم صار معوما بدرجة عالية، في امكان كثافة استغلال هذه التطبيقات وتوجيهها، التلاعب بالهويات الثقافية للمجتمعات. لقد ثبت ان الشركات المصنعة لهذه التكنولوجيا والتطبيقات الذكية تجمع البيانات الفردية والعامية عن الاشخاص والمكونات الاجتماعية والسياسية، لتعديلها واستغلالها تسويقيا وتجاريا، واهينا كثيرة لتسييسها وتسييرها مثلما تبتغي المصالح الكبرى خلفها.

مثلا، لم يعد الارهائيون يحتاجون الى الالتقاء بالناس في التجمعات الشعبية او المناسبات الدينية، لتعبئتهم وتجنيدهم او جمع التبرعات منهم. فقد اثبتت الاحداث الارهابية خلال السنوات الماضية، ان في امكان ارهابي مقيم في جبال تورا بورا الافغانية، ان يحرك ويجند شبانا وشابات على بعد الاف الكيلومترات منه. ان المخاطبة بالصوت والصورة لها وقعها الكبير مقارنة بالبيانات الخطية التي توزع.

مع اغلاق دور السينما والمسارح في معظم دول العالم، كان طبيعيا ان تلتحق شركة نتفليكس للانتاج الفني بقوافل الراحين، اذ ارتفعت اسهمها في ظل ظاهرة احتجاز الناس في منازلهم والزيادة التلقائية لنسبة المشاهدة واعداد المشتركين. علما انه كتب الكثير عن المسلسلات والافلام المؤدجلة والموجهة سياسيا واجتماعيا التي تنتجها نتفليكس.

في امكان هذه التطبيقات المساهمة في تغيير الهوية الثقافية لمجتمع ما، خصوصا من خلال فئات الشباب وصغار السن من خلال ضخ معلومات موجهة، وفرض اولويات ثقافية وفكرية مغايرة على مر السنوات، لانتاج جيل مختلف، اكثر اقتربا مثلا الى الثقافة الغربية ومبادئها، وهو ليس احتمالا ضئيلا.

هيئة الاذاعة البريطانية تحدثت عن 4 مليارات مستخدم للانترنت في العالم، واكثر